

حوار عن الشخصية المصرية والمرضى النفسي (1)
أجري الحوار / أ. صابر رمضان



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان " 2021/02/06

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4907

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....

(1) بداية.. ما أهم مميزات الشخصية المصرية والتي تجعل لها بصمة خاصة تتفرد بها في رأيك؟

د. يحيى:

أرى أن الإجابة على هذا السؤال الآن ونحن على أبواب سنة 2021 ميلادية لابد أن تختلف عن ذى قبل، وأذكر أنني تناولت هذا الموضوع في أكثر من مناسبة، وبدون مناسبة، فعملي هو مواجهة هذا السؤال طول الوقت وأنا أمارس مهنتي التي أتعرف من خلالها على الشخصية المصرية بالطول وبالعرض، ليس فقط من خلال المرضى سواء المختبئين في أعراضهم أو الذى تُعزوا بجنونهم، وإنما أيضا من خلال ذويهم، وما يسردون عن ثقافتهم الخاصة، وأتابع التغير بدهشة مناسبة، أو بفرحة وإعْدَة أما بالنسبة للرد عن الشخصية المصرية الآن: فأنا محكوم بين ما طرأ على ثقافتنا من تغيرات عشوائية كاسحة بسبب استيراد التكنولوجيا التواصلية بهذا الحجم المرعب، بين ذلك وبين هذا الطارق الأخير "جائحة الكورونا"، الذى لم يعرّ الشخصية المصرية فقط بل ربما الشخصية الإنسانية المعاصرة مجتمعة فتزاد الحيرة ويصعب الحكم.

(2) البعض يعتبر المرضى النفسي وصمة فى المجتمع المصرى فما رذك على هذا الطرح؟

د. يحيى:

لا أظن أن المسألة مازالت هكذا حتى الآن،

لم يعد الأمر تماما كما كان، فقد انقسم المرضى النفسي (فى وعى العامة تأثراً بما شاع أيضا بين الأطباء) انقسم إلى ما يسمى الجنون وهو ما يترادف مع تعبير الأمراض العقلية، وما يسمى على الجانب الآخر المرضى النفسي، أو الحالة النفسية (أو العصاب) وهو ما يجرى على ألسنة العامة باسم الأمراض النفسية، وقد ظلت الوصمة تلحق بالجنون دون المرضى النفسي، وإن كانت قد تطلق على بعض الأمراض النفسية الأخف كنوع من الفكاهة أو السخرية أكثر منها وصمة، بل أحيانا ما يصبح المرض النفسي صفة مميزة وتبريرا مناسباً لكثير من الانحرافات الاستسهالية واللذة العابرة، ولسان حال هذا التجاوز يقول: لا مؤاخذه أصلى عندى حالة نفسية.

(3) فى رأيك لماذا يميل بعض الشباب للتطرف وما تحريك النفسى للمتطرفين منهم؟!

د. يحيى:

التطرف ليس طبيعة بشرية جاهزة، لا فى العلم الموضوعى، ولا فى الأصول الدينية أو الفلسفية،

أنا محكوم بين ما طرأ على ثقافتنا من تغييرات عشوائية كاسحة بسبب استيراد التكنولوجيا التواصلية بهذا الحجم المرعب، بين ذلك وبين هذا الطارق الأخير "جائحة الكورونا"، الذى لم يعرّ الشخصية المصرية فقط بل ربما الشخصية الإنسانية المعاصرة مجتمعة فتزاد الحيرة ويصعب الحكم.

انقسم المرضى النفسي (فى وعى العامة تأثراً بما شاع أيضا بين الأطباء) انقسم إلى ما يسمى الجنون وهو ما يترادف مع تعبير الأمراض العقلية، وما يسمى على الجانب الآخر المرضى النفسي، أو الحالة النفسية (أو العصاب) وهو ما يجرى على ألسنة العامة باسم الأمراض النفسية

ظلمة الوصمة تلحق بالجنون
دون المرض النفسى، وإن
كانت قد تطلق على بعض
الأمراض النفسية الأخف كخروج
من الفكاهة أو السخرية أكثر
منها وصمة

أحياناً ما يصبح المرض النفسى
صفة مميزة وتبريراً مناسباً
لكثير من الانحرافات
الاستسهالية واللذة العابرة،
ولسان حال هذا التجاوز يقول:
لا مؤاخظة أظلم عنى حالة
نفسية.

التطرف ليس طبيعة بشرية
جاهزة، لا فى العلم الموضوعى،
ولا فى الأصول الدينية أو
الفلسفية

خلق الله النفس وسواها،
”فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا“ ثم
أوصى بأن علينا بعد ذلك أن
نتعهدنا بتنمية تقواها وليس
بالغناء فجورها، وإنما بترويضه
ليصبح طاقة يتوقف عندها
على ما تُسَخَّر من أجله وتتوجه
إليه، جنباً إلى جنب مع تقواها

التطرف هو الوقوف فى
أقصى طرفه بعيداً عن نقيضه
الذى يقع فى أقصى الطرف

لقد خلق الله النفس وسواها، ”فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا“ ثم أوصى بأن علينا بعد ذلك أن نتعهدنا بتنمية تقواها وليس بالغناء فجورها، وإنما بترويضه ليصبح طاقة يتوقف عندها على ما تُسَخَّر من أجله وتتوجه إليه، جنباً إلى جنب مع تقواها وفى المجتمع المصرى الأصيل يصل هنا المعنى الجدلى الرائع، ويترتب على ذلك أنه لا يعتبر المرض النفسى وصمة، أصلاً،

التطرف هو الوقوف فى أقصى طرف بعيداً عن نقيضه الذى يقع فى أقصى الطرف الآخر، وهو إعلان لجمود النضج وتوقف حركية النمو، فالإنسان يتأرجح طوال أطوار نموه منذ الولادة حتى الوفاة بين ناحيتين دائمتى التغير والتنشيط، وهو بذلك يتواصل نموه من خلال التنافر النشط بين النقيضين، وأيضاً من خلال برنامج ”الدخول والخروج“ الذى يعنى أن كل التجارب التى يمر بها الفرد هى مراحل يأخذ الشخص ما يستطيع وهو يحاول أن ينظر فى موقفه منها من جديد، وقد يتراجع إلا قليلاً وقد اكتسب خبرة مفيدة، ثم هو فى تراجع لا يستسلم للعكس بل يواصل الجدل، ليرحل من جديد إلى الناحية الأخرى حاملاً ما اكتسب من هذا الضد، وهكذا يتواصل نموه من خلال ما يسمى برنامج ”الدخول والخروج In and out program“، فالتطرف هو ضد الحركة، وليس مجرد جمود الحال عند الموقف الخطأ، والتطرف لا يحتمل النقد ولا التعديل ولا الحوار أصلاً.

(4) وماذا عن اتجاه بعض الشباب أيضاً للإلحاد؟

د. يحيى:

فى رأى أن الإلحاد استحالة بيولوجية، بمعنى أن ”الخلية الحية“ يستحيل أن تواصل الحياة إذا انفصلت عن علاقتها بدوائر الوعى المتزايدة الاتساع إلى الغيب نحو التصعيد إلى وجه الله بلا نهاية محددة، ”ليس كمثله شيء“، والإنسان المعاصر خاصة لم يعد يتحاور مع الطبيعة أو يواكب الإيقاع الحيوى المحيط والممتد من أول حركة الذرة فى مدارها حتى دورات الأفلاك فى الكون وما بعده، مروراً بدورات الليل والنهار والنوم واليقظة، والحلم واللاحم، وإذا انفصل الإنسان عن أصله، ولم يسع إلى غاية قَصْدَه، فإنه يقتصر على ذاته وينكر ما بعدها، فيتقدم وهو ينكر كل ما لا يلمسه ماثلاً أمام حواسه الآن، ويبدأ طريق الإلحاد، مع أنه إذا واصل السعى والحوار مع الطبيعة وهارمونية الكون لا بد أن يصل إلى الإيمان الطبيعى، من خلال إدراكه ووجدانه النقى، وليس بالضرورة بالمنطق السطحي والبرهان الخائب.

(5) جائحة كورونا أصابت الكثيرين بالهلع فهل الهلع والخوف يزيد من سقف الإصابة بكورونا وكيف

نواجه ظاهرة هلع الأوبئة؟

د. يحيى:

الهلع هو درجة قصوى ومفاجئة من الخوف، وهو عادة يتناسب مع درجة الخطر المحيى أو المهدد، لكن إذا زاد الخوف عن طبيعة وخطورة المثير له سُمى بالهلع وأصبح وجدانا معوقاً ومعجزاً حتى الشلل عن الفعل وعن الحياة أحياناً، وهو شعور مُعَدٍ ينتقل من شخص لآخر، وفى حالة مثل أزمة الكورونا التى نحن فيها حالياً يوجد مبرر للهلع، لأسباب عديدة، منها غموض نوع الإصابة، وتششت أعراض المرض، وتذبذب مدى الخطوة، وجسامة بعض المضاعفات حتى الموت، أما أن يكون الهلع سبباً فى زيادة سقف الإصابة فهذا احتمال بعيد فى الأحوال العادية، لكنه احتمال وارد لأسباب نفسية خافية عن صاحبها إذا كان به ميل لإيذاء نفسه، ولو تهرباً من الهلع مصداقاً للمثل القائل: ”وقوع البلاء ولا انتظاره“.

(6) ما تقييمك لتعامل الدولة مع حالات مرضى كورونا.. وهل تتوقع زيادة فى الحالات خلال الفترة

القادمة؟!

الأخر، وهو إعلان لجمود النضج وتوقفه حركية النمو

كل التجارب التي يمر بها الفرد هي مراحل يأخذ الشخص ما يستطيع وهو يحاول أن ينظر في موقفه منها من جديد، وقد يتراجع إلا قليلا وقد اكتسب خبرة مفيدة

أن الإلحاد استعالة بيولوجية، بمعنى أن "الخلية الحية" يستحيل أن تواصل الحياة إذا انفصلت عن علاقتها بدوائرها الوعائية المتزايدة الاتساع إلى الغيب نحو التصعيد إلى وجه الله بلا نهاية محددة، "ليس كمثل شيء"

الإنسان المعاصر خاصة لم يعد يتحاور مع الطبيعة أو يواكب الإيقاع الحيوي المحيط والممتد من أول حركة الذرة في مدارها حتى دورات الأفلاك في الكون وما بعده، مروراً بدورات الليل والنهار والنوم واليقظة، والحلم والألم

الملح هو درجة قصوى ومفاجئة من الخوف، وهو عادة يتناسب مع درجة الخطر المحيط أو المهدد

إذا زاد الخوف عن طبيعة وخطورة المثير له سمى بالملح

د. يحيى:

أعتقد أن الدولة قد قامت بدورها بشكل طيب، حتى لو لم تكن الاستجابة كما نتمنى وتتمنى، لأن طبع المصريين بصفة عامة هو عدم الالتزام بالضبط والربط من أول نظافة الشوارع أو اتباع إشارة المرور، حتى التداوى العشوائية والمخاطرة بالأرواح بمناسبة وبدون مناسبة. أما توقعي زيادة الحالات فهذا أمر خارج عن قدراتي، وما تحت يدي من معلومات علما بأنني لا يمكن أن أتعلم على الأرقام الرسمية التي تنشر بشكل رسمي في مقابل الإشاعات التي تُروج نتيجة للخوف أو التخويف والتشويه والتآمر.

(7) ماذا تتوقع بعد انتهاء هذا الوباء وهل ستغير هذه الجائحة من سلوك المصريين؟

د. يحيى:

ما أتوقعه غير ما أتمناه.

فالشعب المصرى له قدرة رائعة على احتواء الصدمات والخروج منها بإيجابيات غير متوقعة، وإنني أمل أن نتعلم من هذه المحنة، مزيد من التقرب إلى الله الذى بيده إزاحه كل غمة وكارثة، وأن نتعلم المزيد من الحرص على النظافة الشخصية والعامة، ومزيد من التقارب فيما بيننا حتى لا يحل الخوف من هذا الضيف الثقيل - أعنى الوباء - (برغم خفه وزنه) محل التقارب الإنسانى الكريم الحميم.

(8) ما أهم الأسباب وراء اتجاه البعض لقتل النفس وتزايد معدلات الانتحار فى الآونة الأخيرة من

وجهة نظرك؟

د. يحيى:

بصفة عامة: مازالت معدلات الانتحار فى مصر أقل من كثير من بلاد العالم، والحمد لله، ولست متأكدا أن ما يشير إليه السؤال هو يتفق قليلا أو كثيرا مع ما يبلغنى وأتابع من أرقام وإحصاءات رسمية، أو من خلال مصادرى الخاصة المتواضعة، ويمكن أن تعزى الزيادة إذا ثبتت صحتها إلى ضعف الوازع الدينى، وزيادة اليأس من انفراجة كافية لتزايد مصاعب الاستمرار فى الحياة مع قسوتها المتزايدة اقتصاديا وإنسانيا.

(9) هل القلق من الممكن أن يؤثر على كفاءة الجهاز المناعى لدى الإنسان وسط الأوبئة المتداولة

عن كورونا؟!

د. يحيى:

نعم يؤثر، خاصة إذا زاد عن حجم المثير المثقل، فلو ربطناه فى حالة كورونا بمتابعة أرقام الإصابة، فربما كان قلقا مقدورا عليه، أما إذا ارتبط بعدد الوفيات فإنه يقفز إلى درجات خطرة تؤثر على المناعة ونصف.

(10) هناك البعض من المصابين بالوسواس القهرى من يتوهمون إصابتهم بكورونا دون إصابة

فيكف يمكن علاجهم؟!

د. يحيى:

هذا صحيح، لكن توهم المرض هو أخف من الإصابة به، وأيضا من التفاعل لفقد عزيز، ولا شك أن ما ذكرناه سالفا من غموض المعلومات، وغبابة الوفيات، والانتشار العالمى غير المسبوق كل ذلك مصدر للرهاب الاجترارى أو كليهما، وهذا يجعل من عنده استعداد للوسواس يضاعف مخاوفه، وحساباته أضعافا كثيرة، وبالتالي تظهر أعراض الوسواس القهرى التسلطى.

(11) ماذا عن دراساتك حول مفهوم (نقد النص البشري) كطريقة للعلاج النفسي وماذا تقصد بهذا

المصطلح وكيف يكون الإنسان الفرد نصاً؟

د. يحيى:

فى ممارستى النقد الأدبى على مدى نصف قرن، رحلت أصحاب أى نص أدبى على أنه كائن حى، استلهمه واحوره، واستخرج من بين سطورهم ما لم يصرح به المؤلف، وكأنى أعيد تخليقه دون المساس ببكارة عطاء المؤلف وإبداعه، وقد حضرني أثناء ممارستى مهنتى، وخاصة فى العلاج الجمعى أننى أقوم بنفس الدور مع هذا النص البشرى الرائع "الإنسان" الذى خلقه الله فى أحسن تقويم، ثم هو آل إلى ما آل إليه من مرض وسلبية بالعجز والضعف، والاستسلام والتبرير، فهو المرض سواء كان ذلك نتيجة سبب موضوعى أو بدون ذلك، فرحت أحاوره وعيا نوعى، فى حركية متتالية لأعيد تشكيله وتشكيل نفسى فكان هذا المصطلح.

(12) كتبت فى كتابك (تزييف الوعى البشرى) عن انقراض الإنسان فهل البشرية تنتكس ام تتقدم

ولماذا وكيف النجاة من ذلك؟

د. يحيى:

بصراحة، لقد فرحت أن يقع هذا الكتاب بالذات فى دائرة اهتمامك ذلك لأنه صدر حديثاً، برغم أنه كان تجميعاً لسلسلة مقالات صدرت لى قبل ذلك فى مجلة سطور.

أما عن محتوى الكتاب فهو ترجمة لمخاوفى، التى نتجت عن ما وصلنى من حال هذا الكائن البشرى المعاصر مؤخرًا، ومدى ما غرق فيه من غرور أعمى وقسوة عشوائية، وخصام مع الطبيعة، واستهانة بالأرواح وتسليم للمادة، وقد أرجعت أغلب ذلك إلى نشاط فى هارمونية وجوده حين طغى جزء أحدث من المخ على سائر الأمخاخ، التى تضائل دورها حتى كادت تضمحل، كل هذا هو ما جعلنى أطلق هذه الصيحة، ومن ثمّ هذا الكتاب.

(13) ماذا عن كتابك (عندما يتعري الإنسان).. ما أهم فكرة أردت طرحها خلال الكتاب؟!

د. يحيى:

هذا هو أول كتاب حاولت فيه أن أبلغ رؤيتى الباكورة التى وصلتنى من مرضاى أبلغها إلى "من يهيمه الأمر" لمن لم يمرض أساساً، وقد كتبتة وأنا فى مهمتى العلمية فى فرنسا سنة 69/68، لمجرد أنه كان عندى الوقت الكافى للكتابة، وليس تأثراً بتعرضى لثقافة مغايرة، وهو مازال من أحبّ كتبى إلى رغم مضى نصف قرن عليه، كما أنه مازال الكتاب الأكثر رواجاً من كتبى حتى الآن، وهو حوار بين "حكيم وفتى" يطلب المعرفة عن طبيعة الإنسان وكيف يتناول فرع الطب النفسى هذه الطبيعة فى الصحة والمرض، والرحلة ما بينهما.

(14) ماذا عن تجربة التصوف فى حياة الدكتور يحيى الرخاوي؟!

د. يحيى:

التصوف هو طريق معرفة أعمق وأشمل، وأصدق وأخطر، وأنا لا أدعى أننى سلكت هذا الطريق، لكننى فخور بأننى "مريد" لكل رائد سلكه بجدية وحب ومثابرة من أول "أنا ماري شميل" فى كتابها بعنوان "الأبعاد الصوفية فى الإسلام، وتاريخ التصوف" (منشورات الجمل: كولونيا بغداد 2006، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب 2006)، وحتى كتابى "المواقف والمخاطبات" لمولانا "النفرى" الذى استلهمه أسبوعياً، لأواصل الحوار معه أسبوعياً فى موقعى الخاص www.rakhawy.net منذ سنة 2009 وحتى الآن

وأصبح وجدانا معوقًا ومعجزًا
حتى الشلل عن الفعل وعن
الحياة أحياناً

فى حالة مثل أزمة الكورونا
التي نحن فيها حالياً يوجد مبرر
للملح، لأسبابه الحديثة، منها
خموض نوع الإصابة، وتشتت
أعراض المرض، وتذبذب
مدى الخطوة، وجسامة بعض
المضاعفات حتى الموت

لأن طبع المصريين بصفة عامة
هو عدم الالتزام بالضبط والربط
من أول نظافة الشوارع أو اتباع
إشارة المرور، حتى التداوى
العشوائية والمخاطرة بالأرواح
بمناسبة وبدون مناسبة.

أمل أن نتعلم من هذه المحنة،
مزيد من التقرب إلى الله
الذى بيده إزاحه كل غمة
وكارثة، وأن نتعلم المزيد من
الحرص على النظافة الشخصية
والعامة، ومزيد من التقارب
فيما بيننا حتى لا يبطل الخوف
من هذا الضيف الثقيل -
أعنى الوباء

خموض المعلومات، وغرابة
الوفيات، والانتشار العالمى
تجبر المسبوق كل ذلك مصدر

(15) لك خمسة دواوين شعرية بالعامية والفصحى ماذا عن الشعر فى حياتك؟! وهل أردت توصيل رسالة من خلال الشعر لم تستطع توصيلها بالعلم؟!
د. يحيى:

طبعاً، وإن كنت لا أدعى أنني شاعر، ولى قصيدة بعنوان "ياليت شعري لست شاعراً"، وبرغم شهادة الراحل جميل عبد الرحمن الأبنودى وهو يصدر إهداء بعض أعماله لى يصفنى فيها بكرم زائد قائلاً: "إلى الشاعر الواعر "يحيى الرخاوى، ولعل هذه الشهادة هى التى شجعتنى أن اسمى بعض إبداعى شعراً، أما عجزى عن توصيل رسالتى نثراً فهذا وراى، فهى رسالة ثقيلة طويلة، والشعر أقدر على الإيجاز والاختراق، وحين حاولت أن أشرح ديوانى الذى حملته هذه الرسالة وهو ديوان "سر اللعبة" وقع الشرح فى أكثر من ألف صفحة، وخرج بعنوان "دراسة فى علم السيكيوباتولوجى" شرح ديوان "سر اللعبة".

(16) اخيراً.. ما مشروعك الفكرى الذى مازلت تسعى لتحقيقه؟!

د. يحيى:

هو كل ما جاء فى هذا الحوار، وأنا أجمعه الآن لأنشره على مسئوليتى، وقد بلغ (62 كتاباً) حتى الآن، ومازال الجمع والتنظيم والإعداد مستمراً لما تبقى ولم ينشر، ودعنى أرسل لك بياناً بالكتب المنشورة المتاحة حالياً دون الكتب تحت النشر والإعداد.

- [1] نشر الحوار بجريدة الوفد بتاريخ 14-1-2021

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD060221.pdf>

للرهابة الاجترارى أو كليهما، وهذا يجعل من عنده استعداد للوسواس يضاحكه مخاوفه، وحساباته أضعافاً كثيرة، وبالتالي تظهر أعراض الوسواس القهرى التسلسلى.

التصوف هو طريق معرفة أعمق وأشمل، وأصدق وأخطر، وأنا لا أدعى أنني سلكته هذا الطريق، لكننى فخور بأننى "مريد" لكل رائد سلكه بجدية وحبه ومناجزة

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الويب

21 عاماً من الضحى... 18 عاماً من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3